جهود الأسرة والمجتمع للمحافظة على اللغة العربية

- اسم الباحثة: حسبية الدار
- المرتبة العلمية: أستاذة مشاركة
- التخصص: اللغة العربية (فقه اللغة والمعجم)
- مكان العمل: كلية اللغة العربية بمراكش
- الدولة: المغرب
- البريده الإلكتروني : h.addar@uca.ma

الملخص

اللغة هوية الأمة والمساهم الأساس في بناء المجتمعات، وبالتالي فاللغة اجتماعية بطبعها باعتبارها وسيلة التواصل بين الأفراد، لذا يتوجب على الأسرة والمجتمع رعايتها والعمل على تطويرها، باعتبارهما المشتلان اللذان يحتضنان اللغة وبهما تحيى وتنتعش، فهي العنصر الرئيس في إعطاء الصفة الاجتماعية للمتحدثين بها.

هدف هذا البحث إلى الإجابة على السؤال التالي: ما هي المشاكل التي تواجه اللغة العربية، وما هي الوسائل التي تمكن الأسرة والمجتمع من المحافظة عليها ؟

فلغتنا العربية في أمس الحاجة إلى العناية، بسبب ما أصابها من إهمال لهجر العرب لها عبر الانبهار باللغات الأجنبية التي لا تحمل في طياتها هويتهم، الأمر الذي أصبح مطلباً استعجاليا من قبل الأسرة والمجتمع، لأن رفعة اللغة من رفعة الأشخاص والمجتمعات. فاللغة تعكس واقع الأمم، إذ أنه لا مجتمع بدون لغة ولا لغة من دون مجتمع.فما هي المجهودات الواجب بذلها من طرف الأسرة والمجتمع للمحافظة عليها؟.

الكلمات المفاتيح:

الأسرة – المجتمع – المحافظة – اللغة

مقدمة

اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية تقوم بدور الاتصال والتواصل بين الأفراد والجماعات، وهي شديدة الارتباط بالمجتمع كيفما كان نوعه، فلغة الطفل تنمو وتتطور متى كانت الأسرة التي يعيش بين أحضانها مستقرة اجتماعيا، فالأسرة هي وسيلة الاتصال الأولى للطفل مع اللغة، والتي تخضع للتطور داخل المجتمع الذي تنتمي إليه. أخبر إبراهيم أنيس نقلا عن م م لويس في كتابه اللغة في المجتمع" أن اللغة وسيلة لصبغ الفرد بالصبغة الاجتماعية، وأنه كلما ازداد الفرد توغلا في عضويته للمجتمع، ووثوقا في صلته به ، زاد دور اللغة ، لا في حياته الاجتماعية فحسب، بل في سلوكه وإحساسه وتفكيره أيضا. " [1]

فاللغة أداة للتواصل بين الأفراد والجماعات، وهي وسيلة لمعرفة عادات المجتمع وتقاليده، وثقافته، وحضارته، فتاريخ اللغة يمكننا من الوقوف على تاريخ الحضاراتِ الإنسانية .

مفهوم اللغة:

لغــة:

لغا، اللَّغْو واللَّغا: السَّقَط وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره، ولا يُحصَل منه على فائدة ولا على نفع. قال صاحب التهذيب: اللَّغْو واللَّغا واللَّغْو ما كان من الكلام غير معقود عليه.

عن الفراء: وقالوا كلُّ الأَولاد **لَغاً** أَي لَغو إِلا أَولاد الإِبل فإِنها لا تلغى، قال: قلت وكيف ذلك؟ قال لأَنك إِذا اشتريت شاة أَو وليدة معها ولد فهو تبع لها لا ثمن له مسمى إِلا أَولاد الإِبل، وقال الأَصمعي: ذلك الشيء لك لَغْوٌ ولَغاً ولَغْوَى وهو الشيء الذي لا يُعتدّ به. قال الأَزهري: واللُّغة من الأَسماء الناقصة، وأَصله **لُغْوة** من لَغا إِذا تكلم واللَّغا: ما لا يُعدّ من أَولاد الإِبل في دية أَو غيرها لصغرها.[2]

اصطلاحا:

تعددت التعاريف الاصطلاحية لمصطلح "اللغة"، حيث قال صاحب الخصائص: " أما حدها، فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" [3]

وقال ابن خلدون: "اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده"[4]

وقال ابن الحاجب:" اللغة كل لفظ وُضع لمعنى".[5].

قال ابن الأنباري هي:"ما كان من الحروف دالا بتأليفه على معنى يحسن السكوت عليه".[6]

وقال تمام حسان: "الكلام أداء فردي في إطار اجتماعي ما، وهذا الإطار هو اللغة."[7]

وبذلك تجمع التعريفات الاصطلاحية على أن اللغة أداة تواصل اجتماعية، ينتجها المجتمع.للتواصل وللتعبير عما حوله، لما لها من حمولة حضارية تتمكن من التأثير في الأجيال، وحين تتحد بالفكر، تصدر عنها حضارة المجتمع الذي تنتمي إليه، فهي صورة للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع الذي تصدر عنه.

مفهوم الأسرة

لغة: الأسرة في اللُّغة: "الدرع الحصين، وأهل الرجل وعشيرته، ويطلق على الجماعة يربطها أمر مشترك وجمعها أسر".[8]

اصطلاحاً:

الأسرة وهي: "الوحدة الأولى للمجتمع وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً ويكتسب فيها الكثير من معارفه ومهاراته وميولاته وعواطفه واتجاهاته في الحياة ويجد فيها أمنه وسكنه"[9]

كما تُعرَّف بأنَّها: "النظام الاجتماعي الذي ينشأ عنه أول خلية اجتماعية تبدأ بالزوجين، وتمتد حتى تشمل وقد عرّفتها د. سناء الخولي بأنَّها: "جماعة اجتماعية أساسية ودائمة ونظام اجتماعي ورئيسي، وهي ليست أساس وجود المجتمع فحسب، بل الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذي يتلقى منه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية"[10]

كما تعرّف الأسرة في العرف الاجتماعي السائد بأنَّها: "المجموعة الصغيرة والمكوّنة من الزوجين والأبناء، أساس هذه الأسرة الزوجان المكونان من رجل وامرأة، وهما اللذان يقومان بالدور الأساس والفعّال في التكوين والتنظيم والرقابة من البداية إلى النهاية"[11] .

تعد الأسرة مكونا أوليا وأساسيا في المجتمع. فبالنسبة للأبناء تعمل على تعليمهم الأخلاق والقيم والعادات الاجتماعية التي تغرس فيهم الانتماء إلى الوطن والتضحية من أجله. الأسرة مقوم أساسي من مقومات المجتمع فالبيت المكان الأول الذي يتلقى فيه الإنسان التربية وأبجديات اللغة. " ينظر الإسلام للأسرة على أنها نواة المجتمع والمكوّن الأساسي له، والبيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الإنسان فتؤثر عليه سلباً أو إيجاباً، يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن أبي هريرة – رضي الله عنه – : (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[12].

اللغة وعاء الفكر

يقول الدكتور أنور الجندي بأن العربية " استمرت أكثر من عشرة قرون لغة العلم والفكر والسياسة في العالم كله."[13]

هناك علاقة وطيدة بين اللغة والهوية حيث يُتوصل إلى معرفة قوتها من خلال تشبث الأشخاص بها عبر الدفاع والدود عنها بكل ما أوتوا من قوة.

ويقول الفيلسوف الألماني فيخته" أينما توجد مستقلة توجد أمة مستقلة لها الحق في تيسير شؤونها وإدارة حكمها".[14]

اللغة مرآة تعكس أحوال الناطقين بها اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وفنيا، ونظرتهم إلى الحياة وكذا تربيتهم وتوجهاتهم الدينية، فمن خلال كون العربية لغة الإسلام فإنك حينما تعبر عن الأشياء فإنك تتوسل الحشمة والوقار عبر استعمال المجاز، وخير مثال على ذلك ما نجده في تعابير القرآن الكريم، النموذج الأساس في قوله تعالى ((نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم))[15]، وقوله تعالى ((لامستم النساء))[16] وقوله أيضا ((أحل لكم ليلة الصيام الرفت إلى نسائكم))[17]

كما أن مدلول الكلمة يتطور وفقا لتطور المجتمع الذي أنتجها نحو : القطار البريد الريشة وعبارة بنى الرجل على امرأته. وأيضا وفقا لانتقال الكلمة من العلوم إلى الخصوص أو من الخصوص إلى العموم (من العموم إلى الخصوص: الصلاة – الحج – الخ) من الخصوص إلى العموم نحو(اليأس الورد الرائد النجعة إلخ) ثم انقراض بعض لكلمات التي انتقلت من معناها الأصلي إلى معناها لمجازي.

ما قيل في تمجيد اللغة العربية

فاللغة "ليست مجرد مجموعة اعتباطية من الرموز كونتها الصدفة المحضة، فاللغة تاريخية في جوهرها، فهي على مرور الزمن تجمع معلني وتخلق ارتباطات وتثير ذكريات. إن معرفة لغة من اللغات إذا أُريد لها أن تكون معرفة عميقة حقا، لا تعني فقط مجرد المقدرة على ترجمة الفكر إلى لغة أخرى، وإنما تعني أن كل كلمة تستعمل يجب أن تعبر تعبيرا دقيقا عن التصور القائم في ذهن مستمعيها.وأن كل كلمة يجب أن تفهم ليس فقط في فحواها المباشر الواضح ، وإنما في معناها التاريخي، أي جذورها وكيفية استعمالها في الماضي."[18]

ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام أن للعرب: " لغة كاملة معجبة عجيبة، تكاد تصور ألفاظها مشاهد الطبيعة، وتمثل كلماتها خطرات النفوس، وتكاد تتجلى معانيها في أجراس الألفاظ، وتتمثل في نبرات الحروف، كأنما كلماتها خطرات الضمير ونبضات القلوب ونبرات الحياة."19

إن " من أبرز خصائص اللغة العربية أن أبناءها اليوم وبعد ألف وخمسمائة سنة يفهمون أسفار الجاهلية والمخضرمين كما يفهمون أشعار أبي تمام والبحتري والمتنبي أو كما يفهمون أشعار أبي العلاء والشريف الرضي ويفهمون أشعار فحول المتقدمين."[20]

ويقول بلاشير: إن وحدة اللغة العربية هي وحدة أخلاقية ودينية قبل كل شيء، مؤسسة على وحدة تاريخ اللغة. وإننا كلما درسنا اللغة الفرنسية لاحظنا أنها تطورت عبر العصور بحيث نجد لها أطوارا فإذا قارنا حالة اللغة الفرنسية في العصور الوسطى وجدنا أنها مغايرة كل المغايرة للغة المستعملة في القرن السابع عشر، وهذه أيضا مختلفة عن لغتنا اليوم، هذه الوحدة في اللغة الفرنسية لا تتضح إلا بالبحث والمقارنة في حين أن وحدة اللغة العربية تتضح للقارئ ولو كان أجنبيا لأول وهلة: نعم، لغة القرآن هي لغة اليوم وهذا ما تتميز به العربية عن اللغات الأخرى."[21]

مفهوم المجتمع

لغة:

لفظ مجتمع مشتق من الفعل:جمع، يقول ابن فارس " الجيم والميم والعين أصل واحد يدل على نظام الشيء"[22].

والجمع بمعنى ضم الشيء بعضه لبعض بعد تفرقه، يقال : جمع الشيءَ يجمعه جمعا، وجمعه وأجمعه فاجتمع وتجمع واستجمع، ومن ذلك: المجموع وهو الذي جمع من هاهنا وهاهنا، وإن لم يجعل كالشيء الواحد، واستجمع السيل: اجتمع من كل موضع، وتجمع القوم: اجتمعوا من هاهنا وهاهنا، والجماع: أخلاط من لناس، وقيل: هم الضروب المتفرقون من الناس"[23].

وجماع الناس: أخلاطهم من قبائل شتى، وكل ما تجمع وانضم بعضه إلى بعض، يقال له جماع. والمجتمع: "موضع الاجتماع، والجماعة من الناس"[24]

اصطلاحا:

المجتمع: "كل مجموعة أفراد تربطهم رابطة ما معروفة لديهم، ولها أثر دائم أو مؤقت في حياتهم، وفي علاقاتهم مع بعض"[25].

التعامل مع اللغة العربية بما يليق بها

حينما ندرس اللغة العربية لغير الناطقين بها يجب استحضار أننا ندرس لغة القرآن، وهنا التنافس عنصر جوهري، بل نراه مطلبا جوهريا حقيقا باللفت له والتنبيه عليه. حيث أن تعليم اللغة للأجانب يتم عبر أهداف لا يجهلها الساهرون على العملية، فهم يدرسون لغتهم باعتبارها وعاء للثقافة التي تحملها بين طياتها، وهي عند الفرنسيين

تساوي الشرف الفرنسي، فالمدرس الفرنسي الذي يدرس لغته لغير الناطقين بها يعفى من التجنيد الإجباري في الجيش، باعتباره يحمل مهمة وطنية لا تقل عن مهمة الدفاع عن الوطن .

نحن أيضا علينا تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها بناء على قرارات صادرة عن الحكومات، لأن الأمر يحتاج إلى إمكانيات مالية وبشرية كبيرين، الأمر الذي عملت به الدول المتقدمة وكان سببا في نشر لغاتها، ف[26]تعليم الإنجليزية لغة أجنبية في بريطانيا تتكفل به BRITISH COUNCIL والتي صارت من أكبر المؤسسات العلمية التعليمية في العالم، وتعليم

اللغة الألمانية تتكلف به المؤسسة الوطنية الألمانية "جوته" CLAS GOETHE INSTITUTE والذي يوجد مركزه الرئيسي بميونيخ. عمل جبار من هذا النوع تنهض به مؤسسات وطنية كبيرة لابد أن يحمل رسالة واضحة.

ألا يعلم اللغة العربية لغير لناطقين بها من هم غير متخصصين في تدريسها بل لابد له من إعداد علمي في علم اللغة التطبيقي ؛

العالم العربي ينقصه ذلك لأنه لا توجد برامج علمية تقوم بذلك، إلا الجامعة الأمريكية بالقاهرة والجامعات السعودية وهذا أيضا يقتضي التفرغ الكامل. جميع الأمم تفتخر بلغاتها وهناك من أحياها بعد مماتها مثل اللغة العبرية، والصينيون لا يقرأون كتابا صدر بغير لغتهم إلا بعد ترجمته، فكيف يغار كل هؤلاء عن لغتهم ويسعون لنشرها بحمولتها الثقافية طبعا لأنهم واعون بأن اللغة توأم الوطنية، ولغتنا أقدس لأنها لغة آخر الكتب السماوية ألا وهو القرآن، فقراءته واجبة وبالتالي معرفة اللغة العربية واجبة أيضا "فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[27]

دور الأسرة والمجتمع في تعلم الأبناء لغتهم

" لا يمكن أن تتنامى حصيلة الفرد اللغوية إلا إذا كان متصلا بغيره من الناس، لأن اللغة ظاهرة اجتماعية تنشط وتقوى وفق نشاط مجتمعها"[28] فقد حرص العرب على تعليم أبنائهم عن طريق السماع باعتباره وسيلة لكسب ملكة اللسان

يرى ابن جني بأن الإنسان يولد ومعه الاستعداد لتعلم اللغة ، أي أن اللغة مكتسبة فهي:" تؤخذ اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مر الأوقات، وتؤخذ تلقنا من ملقن".[29]

" يتأثر النمو اللغوي للطفل بمجموعة من العوامل من بينها ما هو بيئي وما هو أسري، إذ تساهم الأسرة وبشكل خاص الأبوان في تعلق الطفل باللغة التي تلقاها في صغره، ويزداد رصيد الطفل اللغوي من خلال تواصل الطفل

بها فمعجمه اللغوي يتطور كلما كان محيطه مشجعا على تعلمها، فللأسرة الدور الأكبر في تحدث أبنائها بلغة هويتهم."[30]

إذن فالأسرة مسؤولة عن ما آلت إليه اللغة العربية بسبب إهمال الأبناء لها، في غفلة من الوالدين علما أنه ودون وعي منهم ساهموا في هذه الوضعية الرهيبة، حيث أن المحافظة على اللغة العربية وليدة الغيرة عليها وبالتالي فدور الأسرة يتجلى في تنشئة الأبناء على حبها والإيمان بأهميتها، لأن قضية اللغة العربية مسألة إيمان وليست مسألة إتقان، وتتجلى أهميتها في قول الله عز وجلا: ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)).[31]وقوله عز من قائل:((كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون))[32] وقوله تعالى فعلى الأسرة أن تحرص على التحدث مع الأبناء باللغة العربية وأن يبينوا لهم قيمتها وأنها ليست مجرد كلام أجوف بل هي وعاء الفكر العربي الإسلامي وهي الهوية الوطنية والدينية للناطقين بها، فعلى الآباء أن يكونوا في ذلك قدوة لأبنائهم لأن الإناء يرشح بما فيه، ومتى آمنت الأسرة بحمولة اللغة ودورها في بناء الأسر والمجتمعات والأمم عكسته في تربيتها للأبناء.

فالمدرسة الأولى لتعلم كل المبادئ هي البيت وأعضاء الأسرة المعلمون، فالنشء يتعلمون اللغة عبر التواصل مع أفراد الأسرة، ولاسيما مع الوالدين اللذين من واجبهما تحسيس الطفل بأهمية التواصل باللغة العربية، وإجادتها قبل أي لغة وجعلها في مكان الصدارة باعتبارها لغة العروبة والإسلام، لكونها تحمل هويتهم فهي عنوان حضارتهم وتاريخهم المجيد الغني بالانتصارات والأمجاد. وهذا لا يتنافى مع تعلم اللغات الأخرى.

كانت الأسرة أحد العوامل الفاعلة في تراجع اللغة العربية لأنها شجعت الأبناء على تعلم اللغات والأجنبية دون رقيب، فكان حلمها أن يتكلم أبناؤها اللغة الأجنبية حيث كانت تتباهى بذلك دون أن تدرك أن عليها دور توجيههم وأن تعمل على تنشئة الأبناء على حب لغتهم وتاريخهم وهويتهم وتتأكد من مدى ترسخ كل ذلك قبل أن تترك شخصيتهم عرضة للغزو الثقافي حيث أن أبناءنا كانوا صفحة بيضاء لم تتلق التكوين الجيد ولم يتم تحصينها، وبالتالي اتخذوا الإنجليزية لغتهم الأم وصاروا يفتخرون بها ويحتقرون لغتهم ولغة دينهم وهويتهم، ويستحيون من الحديث بها وينعتونها بالنقص ويحتقرونها لأن الأسرة لم تقم بالدور المنوط بها وهو ترسيخ كل هذه المبادئ لديهم، وبذلك وجدت لغة الآخر عقلا ولبا خاليين فتمكنت منهما، وما كانت لتستعمر العقل والقلب لو سبقت العربية إلى ملئهما والاستحواذ عليهما، فقد لعبت وسائل التواصل الإعلام، هذا الدور في مواجهة اللغة العربية والحيلولة دون الأبناء وتعلمها.

" ومثل اللغة في كل مجتمع كمثل الجين الوراثي(الكروموزون) الخاص بذلك المجتمع تحمل في طياتها السمات الدقيقة لذلك المجتمع الذي أنتجها كلها،.....تنقل هذه الجينات الصفات الموروثة إلى المولودات الحية من أسلافها كذلك اللغة تنقل سمات المجتمعات من الأسلاف إلى الأبناء، فحري بعلماء اللغة أن يقرأوا اللغة قراءة دقيقة بوصفها حاملا وراثيا قدمه لنا أسلافنا لنتعرف على طبيعة حياتهم وحقيقة ما كانوا عليه في مجتمعهم من خلق وصفات ولنعرف بدقة كيف يمكن أن تؤثر لغتنا فينا؟ وكيف يمكننا أن نؤثر نحن فيها؟ ولم يبتعد علماء اللغة عن هذا كله حينما صرحوا بأن اللغة كائن حي تولد وتنمو وتتطور، وقد تمرض وتهرم وتموت، وهي في كل ذلك مرتبطة بحياة أفرادها الناطقين بها."[33].

فقد حوربت العربية داخل المجتمع بشتى الوسائل، فمن مدع صعوبتها وعدم طواعيتها لمواكبة الحضارة، ومن داع إلى العامية ونبذ الإعراب، رغبة في إضعاف هذه اللغة القوية لأنها اختيرت لحمل الرسالة الإلهية، التي لم تكتسب قدسيتها من منزلها الروحية فقط، بل لما خصها الله به من قوة البلاغة من مجاز وخصائص الأسلوب وسعة في الصورة ، مما ليس له نظير في باقي اللغات.

فالأسرة أخطأت عندما درست أبناءها اللغات الأجنبية قبل أن ينمو عودهم، وكذلك المجتمع الذي شجع على ذلك، ولم يسع إلى ترسيخ لغتهم، بل وأكثر من ذلك عمه التباهى في التحدث معهم بغير العربية مفتخرة باللغات الأجنبية وقناعة منه بأن هذا أسلوب حضارة، دون أن يعرف الهوة العميقة التي يرمي فيها النشء وأنه يسلبهم الهوية العربية الإسلامية. لذلك في ضل ما أصاب لغتنا وما آل إليه وضع أبنائنا من التخلي عن هويتهم، عبر تخليهم هن لغتهم بسبب كل المغريات التي حملتها معها العولمة من تكنولوجيا غزت بيوت العرب قاطبة، وجعلت أبناءنا غرباء عن واقعهم منبهرين بلغات الغير يتحدثونها مبتعدين عن لغتهم التي لا يفهمونها، لأن المرء عدو ما يجهله.

تعامل العرب مع لغتهم

يقصر أبناؤنا دور اللغة في كونها وسيلة التخاطب والتواصل، ويفضلون اللغة الإنجليزية على لغتهم لأنها برأيهم تفتح لهم مجموعة من الآفاق نحو العالمية، حيث يستعملونها في ألعابهم وتواصلهم وتمدرسهم وقد غزت حتى بيوتهم، فانبهروا بها بل وفضلوها على لغتهم الأم العربية، فقامت مقامها في صدورهم، وهم في غفلة عن أهمية لغتهم التي هي جزء من الثقافة العربية الإسلامية.

قال ابن تيمية:" فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون."[34]وقال صادق الرافعي:" لا جرم كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمرين، فلن يتحول الشعب أول ما يتحول إلا من لغته، إذ يكون منشأ التحول من أفكاره وعواطفه وآماله، وهو إذا انقطع من نسب لغته انقطع من نسب ماضيه."[35]

فلغتنا اليوم هجرت من طرف أبنائها، حيث تبرأوا منها وافتخروا باللغة الأجنبية، وأخذوا يتشدلقون بها وهم غافلون عن نوع ومستوى الأذى الذي يلحقونه بها وبأنفسهم. لأن من نبذ لغته فقد نبذ دينه، حيث لا تتم العبادة إلا بالقرآن وقد اختار الله له العربية لغة فمن هنا نالت قدسيتها. فالأمة التي تنقص من قيمة لغتها وتتبرأ منها فإنما تفتح لنفسها باب الخنوع أمام ثقافة الغير. يقول صادق الرافعي:" ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار".[36]

إذن علينا المسارعة لإنقاذ الإنسان العربي من الضياع والاستلاب لا اللغة "إذا فليس شرطا أن يكون الاحتلال وحده السبب الرئيسي في انهيار اللغة أو اضمحلالها، فاللغة المدعومة منظومة فكرية وعلمية ودينية واقتصادية قوية، تجدها أقوى في مقاومة الغزو الفكري والثقافي أيا كان مصدره."[37]

فاللغة وعاء الأحداث التاريخية والإنسانية، وكلما تقادمت ارتبط بها الإنسان أكثر لأنها تعكس ماضيه وحضارته. وبالتالي فإن النهوض باللغة العربية والمحافظة عليها لا يمكن أن يتأتى لنا إلا بالرجوع إلى الإنسان العربي واختبار مدى غيرته على مجده وهويته العربية والإسلامية. فالقضية قضية إنسان وليست قضية لغة فقط، فقبل محاولة إعادة بناء اللغة يجب إعادة بناء عقلية حاملها والمتحدث بها، لأن اللغة ليست مجرد ألفاظ بل هي تاريخ وحضارة وهوية أمة، فحاملها يجب أن يكون واعيا وعلى بينة بكل هذا، فالضعف لم يعتر لغة العربي، وإنما توغل إلى ثقاته ومدى وهويته العربية والإسلامية.

اللغة التي لا تعبر عن أغراض المجتمع ليست لغة لأن اللغة اجتماعية بطبعها، فإذا أردت الحديث بلغة فإنك تعبر عن مجتمع. فالشخص الذي يريد بكل شدة إظهار براعته في لغة غيره متنكرا للغته، ليس على بينة بعلاقة اللغة بالهوية والفكر. وبالتالي تبقى المشكلة مشكلة إنسان وليس مشكلة لغة، فإذا لم نكن نتقن لغتنا الأصلية فإننا سنستلب من اللغة الأجنبية.

المشكل أن المستلب بلغة الغير لا يشعر بذلك، لأن هدفه الانتقال إلى عالم البهرجة والتفوق والظهور، ولكن ما لا يعلمه أنه إنسان أجوف لا يحمل في طياته هوية الأمة التي ينتمي إليها، أين عروبته وأين دينه، وهما كلاهما

مستمدان من لغته، فهو لا يفرق بين هذا وذاك فلم يتم تلقينه ذلك لا في البيت ولا في المجتمع، فما أخبر به هو أن تعلم اللغة الأجنبية دليل للتميز والعصرنة.

جهود الأسرة والمجتمع للمحافظة على اللغة العربية

في ضل الاستلاب اللغوي للعرب تتمثل جهود الأسرة والمجتمع في القيام بمجموعة من الخطوات الضرورية والجريئة والمتجلية في ما يلي:

– تحمل الأسرة والمجتمع أمانة الحفاظ على اللغة العربية عبر تعليمها الناشئة وتحبيبها إليهم، بإيقافهم على قيمتها المعنوية والمادية، وتوفير كل الحماية الممكنة للدفاع عن الهوية. فمن أكبر التحديات التي تعيشها العربية هجر أبنائها لها وانصرافهم للتحدث بغيرها غير واعين بإجحافهم في حقها ؛

– الدعوة إلى عدم استصغار دور حفظ القرآن وقراءته في تربية أبنائنا، لأثره البالغ على الفراغ الروحي والمادي الذي يحسون به ؛

– التشبث باللغة العربية الفصحى، ومناهضة كل من يدعو إلى باعتبارها لغة جامدة وقاصرة ولا تساير المستجدات الراهنة للعصرنة، والدعوة إلى العامية عبر التخلي عن قواعد اللغة.

– العناية باللغة العربية الفصحى حين استعمالها في الخطب الدينية والسياسية وفي الأبحاث العلمية بالجامعات والتعليمية بالمدارس.

– الدعوة إلى طريقة القدماء في تدريسية اللغة العربية عبر السماع لما لهذه الحاسة من سبق على باقي الحواس في عملية التعلم؛

– ضرورة إتقان أولياء الأمر أي الآباء للغة العربية لأنهم أمام أبناء مستلبين لغويا ولا يتقون اللغة العربية ؛

– على الآباء وكذا المجتمع العمل تحصين الإنسان العربي من خلال نشر اللغة العربية ؛

– وضع قواعد وأصول تضبط الاستخدامات المختلفة للغة بين أفراد المجتمع وإلا انقلب التواصل إلى فوضى، بحيث تحكم تلك القواعد أو الضوابط ما يمكن أن يقال، وما لا يجوز أن يقال، وأن تحكم أصول التخاطب بين الأفراد المختلفين سنا، ومركزا اجتماعيا، وعلاقة اجتماعية، وعلاقة عاطفية[38].ي

– إعادة بناء الثقة عند أبنائنا اتجاه هويتهم العربية والإسلامية، عبر تعريفهم بحضارتهم والعلاقة الوطيدة بين اللغة والهوية وأن كلاهما وجهان لعملة واحدة ؛

– حث الأبناء على مواصلة الجهود للنهوض بالحضارة العربية على منوال ما قام به الأجداد، وإفهامهم بأنهم قادرون على حمل مشعل الحضارة العربية الإسلامية عبر تشبثهم بهويتهم والتي تمثل لغتهم أحد أهم أسسها، وأن اللغة لا تنفك عن مقومات الأمة التي تنتجها، فاللغة وعاء الفكر كما لا يمكن أن تنبهر بلغة الغرب لأنها تحمل ثقافتهم وهويتهم ؛

– عدم التحدث داخل البيت وخارجه، بغير العربية، مع تصحيح لغة الأبناء كلما أخطأوا وتعليمهم كيفية الافتخار بلغتهم ويحق لهم ذلك ؛

– نشر ثقافة قراءة الكتب العربية داخل البيت وتخصيص وقت محدد لقراءة القرآن جماعة، وتفسير بعض الآيات القرآنية والبحث في المعاجم عن معاني الكلمات الغير مألوفة ومحاولة استعمالها في كلامنا اليومي ؛

– تشجيع الأبناء على الإبداع من خلال قراءة القصص العربية التي تلهمهم أفكارا جديدة عن الحضارة والتربية الدينية، وكذا حثهم على نشر ما يفيد أبناء الأمة العربية فيما يخص التعريف باللغة العربية وبأمجادها، عبر لقطات محسوبة عبر استعمال التيكنولوجيا الحديثة بدلا من أن يكونوا مستهلكين لما ينتجه الغرب، عليهم أن ينشروا ثقافتنا العربية والدينية عبر اللغة العربية، وجعل الآخر يتعلم لغتنا لكي يتمكن من الاعتراف بما نملك من حضارة وفكر ؛

– اشتراط الوالدين على أبنائهم التواصل باللغة العربية دون غيرها من اللغات الأخرى ؛

– المحافظة على العادات والتقاليد يجبرنا على المحافظة على اللغة العربية، لأنها صلة الوصل بيننا وبين تراثنا الثقافي ؛

– التشبع بكون اللغة هي وعاء المعرفة والعربية الإسلامية ؛

– تشجيع الأبناء على الإبداع لأجل منافسة الغرب في ما ينتجون وجعلهم قوة اقتراحية لا أداة مستهلكة ؛

– محاربة الأمية داخل المجتمع ؛

– المرور بالوعي بالأزمة إلى حل المشكل عبر خلق جمعيات وتكتلات أسرية لمناهضة هجر العربية، وأن تبقى لغة تواصل وتفكير وتعبير مقابل أن تستعمل باقي اللغات عند اللوم فقط ؛

– التنسيق بين الأسرة والمجتمع حتى لا يضيع أبناؤنا في الهوة السحيقة بين لغة البيت ولغة الشارع والفصحى ؛

إشراك الأسرة في إعداد البرامج الخاصة بالأطفال والتي تبث عبر الأجهزة السمعية البصرية، على أن تكون باللغة العربية الفصحى مع العمل على تطويرها بما يتلاءم ومتطلبات العصر ؛

– إشراك الأسرة أثناء افتحاص الإعلانات الإذاعية والتلفزية، قبل بثها على القنوات لمراقبة ما يشين اللغة ؛

– انتباه الكبار للغتهم التي يحاكيها الأطفال بدءا من الأسرة وهيئة التدريس والمجتمع وكذا المشهورين من باقي فئات الشعب ؛

– دعوة الأسر والمجتمعات للمحافظة على اللغة العربية وتنميتها باعتبار الأسرة الحاضن الأول للمتكلمين بها والمجتمع البيت الكبير الذي يضم المتحدثين بها ؛

– استعمال تقنيات الذكاء الاصطناعي في حوسبة اللغة العربية، من أجل تمكين القارئ العربي من مواكبة المستجدات العالمية باللغة العربية ؛

– حوسبة اللغة العربية من أجل استعادة مجد اللغة، ونفي صفة العجز – المزيفة – عنها في مواكبة المستجدات ؛

– غرس روح الإبداع في أبنائنا من خلال توفير تطبيقات عربية محوسبة تشجعهم على حبها وتطويرها ؛

– تكثيف الأنشطة المجتمعية التي تعتني باللغة العربية ؛

– الاجتهاد في توفير التقنيات الحديثة للقراءة باللغة العربية ؛

– تطوير مناهج اكتساب اللغة العربية بما يناسب تطور المجتمعات ؛

– الحرص على التحدث باللغة العربية أمام أبنائنا ولاسيما في السنوات الأولى من التنشئة ؛.

– غرس مبادئ المواطنة في الطفل منذ الصغر ؛

– ضرورة توفير الجو الصحي لتلقي اللغة العربية داخل المجتمع.؛

– التفكير السليم وليد اللغة السليمة لأنك لن تعرب عما تفكر جيدا بما تفكر به إذا لم تتوفر على لوسيلة الجيدة ؛

– التقيد باستصدار كل متعلم لشهادة إتقان اللغة العربية الفصحى، الأمر الذي نحرص عليه بشدة مع اللغات الأخرى ؛

– العمل على الاستفادة من كل مقومات العولمة لصالح اللغة فنستثمر تكنولوجيا المعلوميات لتطوير تعليم اللغة العربية بين الناطقين بها وغير الناطقين بها، ومن خلالها التعريف بمقومات الهوية العربية الإسلامية. ويبقى من دور الأسرة والمجتمعات الدود عن اللغة من خلال الناطقين بها، باعتبارهما المسؤولان الرئيسان عن التنشئة اللغوية داخل المجتمع، فاللغة الرحم الاجتماعي للفرد والذي يسانده كلما تعرض لضغوطات العالم الخارجي.

– ردع ومقاومة كل أشكال التواصل مع الأهل والأقارب وكل العرب بغير اللغة الأم، سواء بالحديث المباشر او عبر وسائل التواصل .

خاتمة:

نخلص مما تم طرحه من محددات إلى أن العلاقة بين اللغة الأسرة والمجتمع علاقة جدلية، علاقة تأثير وتأثر كل منها يؤثر في الآخر، فباللغة تحيا الأسر والمجتمعات، وداخل الأسر والمجتمعات تنمو اللغة وتكتسب هويتها، وأنه على الرغم من عملية الاستيلاب التي عرفها الإنسان العربي في الوقت الحالي جراء الطفرة النوعية التي عرفها استعمال وسائل التواصل الاجتماعي بما تحمله من إديولوجيا بسبب العولمة، والتي حاولت مس هذه العلاقة الثلاثية، حيث حاول الزحف اللغوي الأجنبي طمس الهوية العربية، إلا أن الوعي بالخطر من طرف الأسرة والمجتمع كان أفشل مطط العولمة، انطلاقا من إعادة ثقة الإنسان العربي في هويته التي تختلها اللغة العربية لغة القرآن.

الهوامش:

[1] - اللغة بين القومية والعالمية، إبراهيم أنيس: 34

[2] – ابن منظور، لسان لعرب مادة:لغا

[3] – ابن فارس، الخصائص: 33

[4] – ابن خادون، المقدمة : 23

[5] – ابن الحاجب، المختصر: 16

[6] – الأنباري، أسرار العربية ، ص: 3

[7] – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: 46

[8] – إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط: 17/1.

[9] – محمد عقلة: نظام الأسرة في الإسلام: 17.

[10] سناء الخولي: الزواج والعلاقات الأسرية: 1.

[11] – حسن أيوب: السلوك الاجتماعي في الإسلام: 198

[12] – البخاري، ، الصحيح، الحديث رقم:1385.

[13] – أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن: 16.

[14] – حصري، ساطع، ماهية القومية: 56

[15] – سورة البقرة الآية: 221

[16] – سورة النساء الآية: 43

[17] – سورة البقرة الآية: 186

[18] – أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن دار: 254

[19] – عبد الوهاب عزام،مهد العربية: 12

[20] – الفصحى لغة القرآن: 15

[21] – الفصحى لغة القرآن: 16

[22] – مقاييس اللغة: 426/1

[23] – مقاييس اللغة: 426/1

[24] – مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط: 136

[25] – عبد الواحد وافي علم الاجتماع:16

[26] – ابن منظور لسان العرب، مادة: لغا

[27] – أبو الحارث الغزي، الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، ص: 393

[28] – علاق يحيى، أهمية السماع في اكتساب اللغة وفي تعلمها قبل التمدرس: 37

[29] – ابن فارس، الصاحبي: 30.

[30] – بن حليم أسماء ولكحل مصطفى، دور الأسرة في تنمية اللغة عند الطفل: https: //www.asjpceristdz

[31] – سورة الحجر الآية: 9.

[32] – سورة فصلت الآية: 2

[33] – سمراء شلواش، جدلية اللغة والمجتمع: 18

[34] – ابن تيمية،اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: 1/ 519.

[35] – مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم: 29/3

[36] – نفسه بتصرف

[37] حسن مصطفى، اللغة العربية بين الماضي والحاضر وتأثير الحضارات في حفظ اللغات.

[38] – نايف خرما، على حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها: 10.

لائحة المصادر والمراجع

1. أسرار العربية ، الإمام أبو البركات عبد الرحمان بن محمد بن أبي سعيد الأنباري تحقيق محمد بهجت البيطار.
2. أهمية السماع في اكتساب اللغة وفي تعلمها قبل التمدرس، علاق يحيى، مذكرة ماستر ، 2010م – 2011م.
3. الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني،تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1952م.
4. دور الأسرة في تنمية اللغة عند الطفل بن حليم أسماء ولكحل مصطفى، جامعة بلعباس وجامعة بنسعيدة: https: //www.asjpceristdz
5. الزواج والعلاقات الأسرية، سناء الخولي، الدار المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م.
6. السلوك الاجتماعي في الإسلام، حسن أيوب: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع.
7. سمراء شلواش، جدلية اللغة والمجتمع: مذكرة لنيل شهادة الماستر في علوم اللغة العربية، 2014 – 2015.
8. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها أبو الحسين ابن فارس، تعليق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1418 هـ–1997 م.
9. صحيح البخاري، أبو عبد اللغ محمد بن إسماعيل البخاري،.تحقيق مصطفى ديب البغا،دار ابن كثير، دمشق بيروت، 1423 هـ – 2002 م.
10. الصراط المستقيم المخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية،اقتضاء ، 1تحقيق الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، دار اشبيليا،الطبعة الثانية 1419هـ – 1998 م
11. علم الاجتماع ، علي عبد الواحد وافي، دار النشر عكاظ، الطبعة الرابعة 1403هـ – 1983 م.
12. الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدارس، بيروت لبنان 1402 هـ – 1982 م
13. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، الطبعة الأولى 1410هـ – 1990 م
14. اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، نايف خرما، على حجاج، عالم المعرفة، الكويت يونيو 2088.
15. اللغة بين القومية والعالمية، إبراهيم أنيس، دار المعارف بمصر.
16. اللغة العربية معناها ومبناها تمام حسان، دار الثقافة الدار البيضاء.
17. ماهية القومية حصري، ساطع، ، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، بدون تاريخ.
18. مختصر المنتهى الأصولي، ابن الحاجب، مطلعة كردستان العلمية مضر القاهرة ، 1326 هـ.
19. المعجم الوسيط إبراهيم أنيس وآخرون: ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع.
20. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية جمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة 1425 هـ – 2004 م.
21. مقاييس اللغة، أحمد بنن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، 1399هـ–1989 م.
22. المقدمة، ابن خلدون تحقيق عبد الله محمد الدرويش،الطبعة الأولى، 1425 هـ – 2004 م.

23. مهد العرب، عبد الوهاب عزام، دار النشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2012
24. نظام الأسرة في الإسلام، محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، الأردن، عمان، ط/2، 1989م.
25. الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، أبو الحارث الغزي، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الرابعة 1916 هـ - 1996 م مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق،
26. وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي ، المكتبة العصرية